

تحية إلى الياس شوفاني

هند ونور الياس شوفاني

أن نقرأ ونقرأ ونقرأ

الجيل.
تعلمنا الصبر والمثابرة على الحشرية
الفكرية والالتزام بقضيتنا الإنسانية
والسياسية النبيلة.
تعلمنا الجِدَّ والانضباط الذاتي ... أو
على الأقل، لقد حاولنا. لقد كان والدنا رجلاً
جلوداً ومجتهداً ملتزماً بما آمن به، ونحن
نؤمن بأن هذا درس مهم علينا أن نتعلمه
أيضاً.
تعلمنا الحب الهادئ للنباتات النامية
والناهضة، وأهمية السكون والتأمل المتكرر.
تعلمنا كم هو صعب أن تكون راشداً في زمن
الحرب، وكيف تتخذ القرارات التي تؤثر في
الآلاف، كيف تربي عائلة قادرة وسليمة في
المنفى وتحت القصف وفي ظروف تدهور
الآمال الثورية كافة.
تعلمنا أن نقبل ونحب جميع الثقافات
والحضارات التي تختلف عما هو عندنا..
تعلمنا أن البشر هم أهم كثيراً من المال
والشهرة، وأن أولئك الذين يعملون بإيمان

من الصعب إيجاد الكلمات الملائمة
للكتابه عن الذهاب المفاجئ
لوالدنا الحنون.
ربما كانت البداية الطيبة في شكر كل
فرد منكم أنتم الذين أحببتموه.
أنتم الذين اهتمتم بنا في تلك الأسابيع
الجزينة بعد رحيله الهادئ.
أنتم الذين مددتم لنا أيديكم وأعطيتمونا
بسماحتكم وفيها بعض الطمأنينة.
لقد كانت تلك فترات ملهمة لنا ونحن نرى
الجمع الكبير من الذين واكبوا حياة والدنا
وموته. ماذا ترك وراءه؟ ليس اسماً عظيماً
وتراثاً فقط، لكن أيضاً قصص رقة إنسانية
مع أناس أكثر ممّا كنا نعرف. نحن نقدر
بعمق أننا ورثنا كل هذا الاحترام والسمعة
الطيبة، وأننا نسير على خطاه.
لقد تعلمنا كثيراً من والدنا المحب، تعلمنا
أن نحب اللغات والأرض.
تعلمنا كيف كانت الفاكهة وغلّال التبغ،
وحتى كيف تعيش الحيوانات بحرية في

وحسباً صلباً بالعدالة. كان رجلاً صلباً في معتقداته، جذرياً في إيمانه بحرية الشعوب وحققها في تقرير المصير. كان يعبر بقوة وبصوت عالٍ عما يؤمن به. ولهذا لم يكن دائماً الرجل اللبق الدبلوماسي، ولهذا أعجبنا بقوته وإصراره على القيام بما كان يريد القيام به على الرغم من كل شيء وكل الآخرين.

تعلمنا التاريخ والجغرافيا وبعض الأرامية، وكيف نستطيع أن نحافظ على الحمص كي لا يخرب في البراد. تعلمنا عن الصعوبات، وعن التضحيات العظيمة في الحياة الزوجية. وتعلمنا كيف تكون الروح سليمة وكريمة في العطاء حتى بعد ثمانين سنة من النضال. تعلمنا عن فلسطين، كما تعلمنا في الحب أن نرى فلسطين، بلدنا الأم، في كل شارع وفي كل بلد نزره.

سنتقدك، الياس، كأبٍ حنون، كما عرفناك في المحادثات الحميمة في غرفة جلوسنا المشمسة، وكما عرفناك في محادثاتنا الطويلة على الهاتف، وفي مطبخنا القديم الدافئ ونحن نساعده في إعداد الطعام، وفي الشرفة الخضراء وأنت تسقي النباتات وتحقق بالسماء التي أحبتك. سنتقدك كصديق خاص مؤمن بمستقبلنا. سنتقدك بالبسمات التي كنت توزعها في المدينة التي اخترتها، دمشق، هذه المدينة التي تحتاج إلى كلمات وبسمات اليوم أكثر من أي وقت مضى.

سنتقدك كمتقف وكاتب وحالم وقائد ثوري. هذه ذكراك التي مازالت حية بيننا اليوم. ■

بتكاتف ومحبة
هند ونور

في المجتمع يستطيعون تغيير عالمهم، أو على الأقل كان عليهم أن يحاولوا، وقد حاولوا.

من والدنا تعلمنا عن الحزن والحرمان. تعلمنا كيف ينظر القلب على الأخوات والإخوة الأحبة، وكذلك على الأبناء والبنات حتى بعد أعوام من الفرقة والبعد مسافات طويلة. تعلمنا كيف أن حب الأصدقاء والعائلة يكون قريباً من القلب، بقدر ما تريد أن تكون قريباً منهم، وهم دائماً معك، بغض النظر عن الزمان والمكان.

تعلمنا أن نقول ما نريد بالصوت العالي، وبحرية. أن نكون أقوياء، وأن نتخذ قراراتنا بأنفسنا، وأن نفعل ما نراه صواباً، بقدر ما نستطيع.

أن نقرأ، ونقرأ ونقرأ، ألا نتوقف أبداً عن القراءة. أن نعمق في أنفسنا القيم الإنسانية بغض النظر عن الدين، وأن نعمل من أجل الإنسانية.

لقد كان والدنا صديقنا أيضاً، ومنذ اليوم الأول الذي فقدنا ياسمينتنا الجميلة أصبح والدنا صديقنا وراعينا، دائماً ينصحننا بشأن تخصصنا وخياراتنا في حياتنا الخاصة، من دون أن يفرض علينا رأياً، مبدياً دائماً التوجيه الملائم والدعم.

لكنه كان أيضاً يجعلنا نضحك ونبكي ونعمل بجد أكثر، وكثيراً ما كنا نهز رؤوسنا باندهاش لنظرته الفريدة إلى العالم، لكن العميقة والصعبة على الفهم في أغلب الأحيان.

نحن نأمل بأن يساعد الفيلم الذي يصور حياته والذي سيصدر هذه السنة، في أن تتذكروا لحظاته العظيمة معكم، وأن تسامحوه على كل خلاف معكم. لقد كان دائماً شخصية قوية، يمتلك كلمات أمره